المحاضرة السّادسة: أنواع الدّلالة عند الجاحظ، وأحمد مختار عمر

الدلالة من البحوث المهمة قديما وحديثا، كيف لا والمعنى هو لب ما يريد الإنسان إيصاله في تواصله مع الآخرين، بل إنه يستغل كل السبل التي تسهم في إيصال فكرته بطريقة تفهمها الأذهان، وتصل به إلى أهدافه، ومبتغاه، وقد وجدت اللغة بألفاظها للتعبير عن المعاني الموجودة في الذهن، فهي بذلك ظاهرة جوهرية في حياة الأفراد والمجتمعات ولا يمكن تحقيق التواصل بينهم إلا بهذه اللغة الحاملة للدلالات المختلفة، ونظرا لهذه القيمة الخاصة للمعنى كان محل اهتمام القدماء والمحدثين وسنكتفي بأخذ نموذج قديم متمثل في أحد أعلام البلاغة البارزين، وهو الجاحظ، ونموذ حديث متمثل أحد أبرز المهتمين بعلم الدلالة، وهو: عند أحمد مختار عمر. فما أنواع الدلالة عندهما؟

أولا: أنواع الدلالة عند الجاحظ: يرى الجاحظ أن أصناف الدلالة على المعاني لا تخرج عن خمسة أشياء: يقول: (وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تزيد ولا تنقص، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصبة)، **فما المقصود بها؟**

- **دلالة اللفظ:** المقصود هنا دلالة الكلام المنطوق، وقدرة الشخص على البيان بالصوت، أي بكلام مسموع مبين، وقال صاحب المنطق: **حدّ الإنسان: الحي الناطق المبين.**
- **دلالة الإشارة:** ويعني بها التّعبير عن المقصود بغير اللفظ ولا الكتابة، وإنما بالجوارح وبلغة الجسد، والإيماءات، وتعبيرات الوجه، لنقل المعلومات وانطباعات إلى الآخرين، وأحيانا قد تكون الإشارة أبلغ، وأفصح، فنعبر بالإشارة ما لا يمكن أن نعبر عنه باللفظ، وقد تكون الإشارة مساعدة للفظ في كثير من الأحيان، يقول الجاحظ: "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط..."[1]

من بين الشواهد التي يسوقها الجاحظ في هذا الباب قول الشاعر:

أشارت طرف العين خيفة أهلها ...إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا...وأهلا وسهلا بالحبيب الميتم.

[1] الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص78

وقول الآخر: العين تبدي الذي في نفس صاحبها...من الحفبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتة...حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

والكلام عن هذا الأمر يطول، ولنا في حياتنا اليومية أمثلة كثيرة، يمكن لأي فرد أن يتمثلها.

- **دلالة الخط**: ذكر الجاحظ ما للخط من منافع كثيرة، وقيل القلم أبقى أثرا، واللسان اكثر هذرا، وذكر آيات من القرآن الكريم تبرز فيها قيمة الخط منها قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) القلم، وقوله تعالة: (إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) العلق، وقال الجاحظ: الكتاب يُقرأ في بكل مكان، ويدرس في كل زمان.[2]
- **دلالة العقد**: وهو الحساب دون الخط واللفظ، وفضيلته جليلة والدليل على ذلك قوله تعالى: (**الشمس والقمر بحسبان**) الرحمن، وقوله تعالى:(...**ولتعملوا عدد السنين والحساب**)، والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة.
- **دلالة النصبة**: وهي الحال الناطقة بغير لفظ، والمشيرة بغير يد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق..فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، يقول أحدهم: سل الأرض: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا.)، وفحوى هذه النوع أنها تدعو للتدبر في خلق السموات والأرض، وفي كل شيء من صنع اهرة، واستنطاقها بالعقل، فهي دالة على المعاني وإن لم تنطق أو تشر.

ثانيا: أنواع المعنى عند أحمد مختار عمر: يرى مختار عمر أن بعض الكلمات لا يكفي الرجوع فيها، إلا المعجم فقط لمعرفة معانيها، لذلك كانت الدّلالة مختلفة تتحدد وفقا لجوانب متعددة. وهو يرى أنها خمسة أنواع: المعنى الأولي، والمعنى الإضافي، والمعنى الأسلوبي، والمعنى النفسي، والمعنى الإيحائي، وتوضيح ذلك كما يلي: [3]

[2] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين،ج1، ص79-80

[3] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص(من36 إلى 41)

1 -**المعنى الأساسي** : ويسمى بتسميات عديدة منها، الأولي، والإدراكي، المركزي، وهذا المعنى هو الرئيس في الاتصال اللغوي، والممثل الحقيقي للوظيفة الأساسية للغة، وهي التفاهم ونقل الأفكار، ويعرف على أنه المعنى المتصل بالوحدة المعجمية، حينما ترد منفردة.

2 -**المعنى الإضافي**: ويسمى أيضا بالعرضي والثانوي، والتضمني، وهو المعنى الزائد الذي يحمله اللفظ إلى جانب معناه الأساسي، وذاك المعنى الزائد يختلف باختلاف الثقافات والأمكنة والأزمنة، وهو مفتوح غير نهائي، بعكس المعنى الأساسي فهو ثابت، مثال ذلك كلمة امرأة فمعناها الأساسي يتحدد بـ: أنها إنسان+أنثى+بالغة، والمعاني الإضافية لها مثل: الثرثرة، الحنان، إجادة الطبخ، لها لباس معين، استخدام البكاء، غير منطقية، عاطفية...هذه معاني إضافية تختلف من مجتمع إلى آخر، بحسب نظرتهم إلى المرأة معتمدين على خصائص نفسية، وعضوية، واجتماعية.

ومثلها كلمة يهودي، التي تعني شخصا يعتنق الديانة اليهودية، ولها معاني إضافية في مجتمعنا: فتطلق على الشخص الذي يتصف بالكذب والخداع، والمكر..

3 -**المعنى النفسي** : وهو ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، وهو بذلك معنى فردي ذاتين ويظهر هذا المعنى في الأحاديث اليومية للأفراد، وفي كتابات الأدباء والشعراء، فتجد لها أثرا متباينا في أنفس الأفراد، (مثلا قد يؤثر فيك بيتا من الشعر بطريقة حزينة، أو تؤثر فيك لفظة معينة، ككلمة أم تحمل معان نفسية متباينة من شخص إلى الآخر بحسب وضعيته كأن يكون فاقدا لأمه أو بعيدا عنها...)

4 -**المعنى الإيحائي**: وهي المعاني التي تتعلق ببعض الكلمات ذات القدرة على الإيحاء لشفافية لفظها، وخير مثال على ذلك الكلمات التي لها ارتباط بين معانيها ولفظها، فتحاكي ألفاظها معانيها صوتيا (تأثير صوتي)، مثل أصوات بعض الحيوانات(مواء القط)، وأصوات الضجيج مثلا: صليل السيوف، خرير الماء..وقد تكون الدلالة الإيحائية ذات التأثير صرفيا مثل بعض الكلمات المنحوتة (صهصلق، من صهل وصلق...حوقلة: لا حول ولا قوة إلا بالله..).